باب التوسع في التعليم

﴿ امالى دينية - الدرس ١٢ ﴾

م (٣٤) العلم — معنى العلم بديهي فى نفسه وأعم تعريف له انه انكشاف الشيء للمستعد له ويسمى الشيء المنكشف معلوماً ومن انكشف له عالِماً واذا كان متعلق العلم كثيراً سمي عليماً وعلاّماً ولم يرد اطلاق لفظ « العالم » على الله تعالى فى القرآن الا مضافاً الى المعلوم كقوله « عالم الغيب والشهادة » وورد « علاّم الغيوب » وأما لفظ « عليم » فهو الذي كثر اطلاقه عليه تعالى بصيغتي التعريف والتنكير لان وزن فعيل يدل على الصفات الثابتة كما تعلم من التفسير فى الباب الآتى قال تعالى « وهو الخلاق العليم » وقال « وهو بكل شيء عليم »

كل فعل يصدر من فاعل يشتق له من اسمه وصف يحمل عليه وان من الافعال ما له مبدأ خاص ثابت فى نفس الفاعل لا يصدر الفعل الا عنه ومنها ما يستند الى مبدا عام مثال الاول الرحمة والعطف على البائس ومثال الثانى المشي فانه يستند الى القدرة وليس له مبدأ خاص فى نفس الماشي . وان من الافعال ما اذا حصل يثبت ويستمر كالعلم ومنها ما ينقطع كالشم والاعطاء فما له مبدأ خاص فى النفس واستقرار فيها جدير بأن يسمى صفة ذاتية وما ليس كذلك حقيق بان يسمى صفة فعل والذين دققوا فى تفسير الالفاظ قالوا ان العلم كما يطلق على انكشاف الشيء للعالم فعلا يطلق ايضاً على مبدأ هذا الانكشاف ومصدره فى النفس علمت حقيقته اولم تعلم

وكل هذا ظاهر بالنسبة للانسان

اما الذى قام عليه البرهان من علم الله تعالى فهو انه بكل شىء عليم وان هذا العلم ثابت له ازلاً وابداً فهو المحيط بجميع المعلومات قبل وجودها وبعده وعلمه بها قبل وجودها يسمى علم الغيب وبعد وجودها يسمى علم الشهادة وهو سبحانه « عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم » وما زاد على هذا من البحث في ان لعلم الله تعالى مبدأ قائما بنفسه تعالى وتقدس فهو اشبه بقياس الواجب على الممكن والقديم على الحادث وهو الذى ادى بالمتكلمين الى الحيرة ومصارعة الشبهات لان القول بان الصفات الذاتية كالعلم والارادة لها وجود مستقل قائم بالذات بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها (كما قال بعض المجتهدين فى تقليد المتأخرين) يقتضى تعدد الواجب وقد اراد بعضهم المخروج من هذه الشبهة فقال ان صفات الذات عين الذات ورُدّ عليه والجمهور على انها ليست عين الذات ولا غير الذات . ولم يكلفنا الله تعالى بشىء من هذه الابحاث الفلسفية وانما كلفنا بان نعتقد انه بكل شىء عليم والبرهان العقلى يدل على هذا وقد تعذر على حكماء العالم اكتناه حقائق الممكنات فكيف نحاول اكتناة صفات الواجب القديم « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

م (٣٥) اما البرهان على علمه تعالى فحسبك ما ارشد اليه الكتاب العزيز بقوله « ألا يعلم من خلق » بلى فان العقل لا يتصور ان صانع آلة الساعة ومبدعها غير عالم بها وبكل ما يتوقف عليه اختراعها وعملها من العلوم والفنون ولا ارى من حاجة للاطالة فى الاستدلال هنا اذ لا يوجد فى العالم من يثبت وجود خالق للكون وينكر ان علمه بكل شىء محيط

والمجال واسع لمن يريد السباق فى هذه الحلبة لاسيما لمن له وقوف على العلوم الطبيعية من جماد وسائل وغاز وحيوان وعلم الهيئة الفلكية فان جميع العوالم والكائنات التى يبحث عنها فى هذه العلوم قائمة بنظام كامل مبني على اساس الحكمة ولها سنن ونواميس ثابتة اهتدى الباحثون الى بعضها فحارت عقولهم فى هذا الابداع ودلهم ما علموا منها على صدق قوله تعالى « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » فان الجاهل المطلق لايخطر فى باله ماينبغي ان يعلم فيتوهم انه يعلم كل شيء وكلما اهتدى الانسان الى مسألة من مسائل العلوم الصحيحة تفتح له بها كوة فى العالم يشرف منها على كوى كثيرة يتحقق ان وراءها مشاهد عظيمة تتوقف على فتحها فيزداد علماً بجهله ويطلب المزيد ومن ثم ورد فى الحديث الشريف « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال » وقد لاحظ الامام الشافعي رضى الله عنه هذا المعنى فقال

كلما ادبني الدهـ ـر اراني نقص عقلي
واذا ما ازددت علما زادني علماً بجهلي

واذا كان الانسان اكمل المخلوقات عاجزاً عن ادراك كل هذه الحكم والاحاطة بجميع هذا النظام فهل يصح ان يكون مصدر ذلك من هو دونه فى العقل فضلاً عن « حركة المادة » التى يهذى بها الماديون وما هى الا عرض لا يصح فى العقل ان يكون مصدر هذا النظام البديع

ما اشدَّ غفلة هؤلاء الماديين اذ قالوا ان حركة المادة هى الفاعلة والمدبرة لهذه العوالم من الفاعيات (الميكروبات) التى يعيش الملايين منها فى نقطة صغيرة من الماء تسبح فيها وتتغذى وتتوالد على اكمل نظام ولها اعمال تعجز عنها الرجال فان جحافلها تكر على الانسان وغيره فتفتك به

ما لا يفتك المكسيم والموزير وتؤثر فى كل حيوان ونبات — الى الحيوان والانسان الذى حارت الافكار فى حكمة كل عضو من اعضائه لا سيما المشاعر فان العين مؤلفة من طبقات ورطوبات ولها من الرباطات والاوردة والشرايين والاشكال الهندسية والالوان الموافق كل ذلك لسنن النور ونواميسه بحيث لو تغير وضع من اوضاعها لاختلت وظيفتها وذهب الابصار فهل هذا كله من فعل حركة المادة ام هو فعل العليم الحكيم ؟

﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٤) من هيلانه الى اراسم فى ٢٠ ستمبر سنة ١٨٥

إخالني فهمت طريقتك فى تربية النفس وأراني مرتاعة من عظم العمل المعهود الىّ به والصعوبات التى تعترضنى فى سبيل اتمامه لان امر الطفل بفعل ما يجب عليه فعله اهون بكثير من تصفح الاشياء لايجاد ما يبعثه منها الى صالح الاعمال على انى سأحاول العمل على هذه الطريقة فانى على يقين تام من ان الكلام والنصائح والمواعظ لا تكفي لتهذيب الطبع وتقويمه بل انى قد وصلت من هذا اليقين الى حد ان احدث نفسى بأن فى التبكير بتلقين الطفل بعض المواعظ وايداعها ذاكرته خطأً من شأنها ونقصاً من قيمتها مهما كانت حسنة مفيدة فانه يسهل عليه بذلك الاعتياد على تلمس الفضيلة من الكلام واعتبار الوجدان استاذ مدرسة .

على انى الى الآن لم ابلغ مع (اميل) هذه الدرجة فانى لو كلمته فى علم الاخلاق لألفيته بلا شك فى غاية العجز عن فهم ما اقوله ولكنه على

صغره له دين كما يدل عليه اتخاذه اللُّعب التي يعطاها آلهة يخصصها بفرط محبته ومزيد عنايته فلو اني اردت من الآن تغيير الاحوال المقارنة لسنه وفطرته في بضع سنين لاضعت وقتي عبثاً ولما نجحت الا في تبديل تماثيله باوثان اخرى

لا تزال عواطف « اميل » في غاية القصور كما رأيت فأصبت في رأيك . على ان للاطفال مهما كانوا صغارا حاسة عجيبة يفرقون بها بين الصحيح من انواع ميل الناس اليهم وعطفهم عليهم والمموه منها فهم يحبون من يحبهم وقلما ينخدعون بضروب الرياء والاستمالة وانواع التدليل والملاطفة ومما يشهد لذلك اني في معظم اوقات زيارتي للسيدة وارنجتون الاقي عندها امرأة ترملت في شبابها وهي تزعم انها تعشق الاولاد عشقاً وتقول لم لم يهب لي الله (سبحانه) ولو ولداً واحداً وتدعي انها كلما فكرت في ذلك كاد يغمى عليها ولكني في ريب من ان قلبها كقلوب الامهات لان « اميل » لا يطيق النظر اليها

لا مناص لنا من الانفعال بما يحيط بنا من المؤثرات الخارجية كما تقول والا فما السر في اني احب التنزه في طريق مخصوص كلما تلقيت مكتوباً من مكاتيبك وكيف ان بعض الاشجار يجذبني اليه ويدعوني الى تفيئه والجلوس تحته في حال ثوران اشجاني خاصة وبماذا افسر ما اجده من الارتباط بين رؤيتي لصخرة وما احس به اذ ذاك من نقص في عزمي ووهن في ثباتي . فلا شيء يطابق جميع حالات النفس ويلائمها سوى البحر على ما ارى . اهـ